

الفصل الثانى

المعنى ودور السيمانتيك فى السلوك الإنسانى

التركيب اللغوى :

يختلف التركيب اللغوى فى أحاديث الأفراد اليومية تبعاً لمقتضيات الموقف نفسه ، وكذلك تبعاً للأفراد المخاطبين أنفسهم .

وبالتالى نجد العديد من التراكيب اللغوية ، تختلف اختلافاً بينا تبعاً لنوع العلاقة بين المتكلم والمخاطب ، وتبعاً للوضع الاجتماعى والثقافى عند كل منهما .

كما أن لمدى الألفة والصلة الروحية بينهما شأن هام فى تحديد مضامين الألفاظ ونوعيتها . فكلام الأب لأبنائه مثلاً ، غير كلامه مع رئيسه فى العمل ؛ كما أن كلامه لصديقه يتصف بنوعية خاصة غير السابقة ، إلى غير ذلك من مواقف تتطلب تركيباً لغوياً خاصاً إذا استعمل غيره ، أخل بالفحوى والمضمون .

وفى الواقع ، لما كان لكل لغة قوانينها ، وضوابطها ، وبلاغتها ، وتبيانها ، وجب على المتكلم أن يكون ملماً بها ليصوغ من تراكيبيها وأساليبها ما يلائم المخاطب ليستطيع فهم ما تتضمنه الألفاظ من معان .

وبمقدار إلمام المتكلم بأساليب اللغة ، ومعرفته ظروف المخاطب ، يتوقف مقدار ما يمكن أن تؤديه التراكيب اللغوية من معان .

أما ما يحدث من اختلاف فى فهم معانى الألفاظ بين المتكلم والمخاطب ، ينتج من أن اللفظ الواحد ، أو التركيب اللغوى ، يتضمن أكثر من معنى . ومن ذلك مثلاً : اللفظ « ثب » وهو فعل أمر من وثب أى قفز . إلا أن معنى وثب فى لغة حمير هو « جلس » . وحمير مملكة على ساحل الخليج العربى وعاصمتها « ظفار » .

ومن هنا كان اللبس فى فهم معنى هذا اللفظ بالنسبة إلى أحد الشعراء حين ذهب إلى مدينة ظفار وقفز من أعلى الجبل ، لأن الملك قال له : ثب . والملك كان يعنى « اجلس » .

ومن هنا قال الملك ذلك المثل العربى المشهور : « من دخل ظفار حمر » . أى من يأتينا

يجب أن يعرف لغتنا وهي « الحميرية » .

والكناية في اللغة ، يقصد بها معنى معين غير مباشر ، فالتركيب اللغوي يمكن أن يتضمن معنيين : معنى ظاهر مباشر ، ومعنى ضمني غير مباشر . فمثلاً تقول العرب : « فلان كثير الرماد » ، كناية عن الكرم والجود ، حيث ينحر للضيوف ويوقد النيران لطهو اللحم ، فيتخلف عنها رماد كثير بمقدار كرمه وسخائه . كما تقول أيضاً : « فلان هزيل الفصيل » ، والفصيل ابن الناقة ، وهذا كناية عن كرم صاحب الناقة لأنه يسقى لبنها للضيوف ، فيهزل فصيلها .

إن العرب في حياتها اللغوية ، كانت تنطق اللغة العربية الفصحى ، حيث كان الطفل ينطق بها معربة ، كأبويه ومن حوله ، فيرفع الفاعل ، وينصب المفعول ، ويجر المضاف إليه ، والمجرور بحرف جر .

فمثلاً ، سأل طفل والده هذا السؤال : « ما أحسن السماء ؟ » .

فأجابه والده : « نجومها » . فرد الطفل قائلاً : ما أردت الاستفهام ؛ إنما أردت التعجب » . فقال والده ، إذن قل : « ما أحسن السماء ! » .

وهكذا ، يتبين لنا تغير المعنى في التركيب اللغوي الواحد ، تبعاً للقواعد التي يتضمنها علم النحو ، وهو العلم الذي يتعلق بأواخر الكلمات رفعاً ونصباً وجرّاً وجزماً ، أى من حيث إعراب الكلمة نفسها .

ويدلنا هذا التركيب اللغوي : « وجدت فلانا ولكنى وجدت عليه » ؛ على تغير المعنى تغيراً تاماً بما فيه من « جناس تام » . والجناس من علم البديع ، الذي هو أحد الفروع الثلاثة التي تتضمنها علوم البلاغة : « المعاني ، والبيان ، والبديع » .

ونلاحظ فتح « الجيم » في اللفظ الأول « وجد » ؛ وكسر « الجيم » في اللفظ الثاني « وجد » .

وتبعاً لذلك أصبح معنى اللفظ الأول هو : عثرت على فلان ، بينما معنى اللفظ الثاني هو : غضبت من فلان .

ومن أنواع الجناس أيضاً تلك الحكمة المشهورة : « وأرضهم مادمت في أرضهم . ودارهم مادمت في دارهم » .

فمعنى اللفظ الأول « أرضهم » : كن محل رضائهم ولا تفضبهم . بينما معنى اللفظ الثاني هو : الأرض التي يقيمون فيها .
ومعنى اللفظ الأول « دارهم » : لا ينهم ولا تخالفهم . بينما معنى اللفظ الثاني « دارهم » هو : الديار التي يقيمون فيها .

* * *

الدلالة والمعنى فى التراكييب اللغوية القرآنية

القرآن الكريم فى قمة العربية فصاحة وبلاغة ، لما له من خواص التراكييب اللغوية ، ودقة الأساليب ، وعمق المعانى ، فى سائر آيات اعجازه ما لا يستقل بأدائه لسان .

إن القرآن نزل بلسان عربى ، ويتوقف فهمه على شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع . وتختلف المعانى باختلاف الاعراب . ومن هنا كانت أهمية علم النحو ، وعلم البنية من حيث التصريف والاشتقاق . إذ يتضح معنى اللفظ من خلال مصادره ومشتقاته .

وهكذا ، يختلف المعنى وتتباين الدلالة تبعاً لخواص تراكييب الألفاظ ، كما أن وجوه تحسين الكلام - وهى علوم البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع . من أهم الركائز التى يركز عليها المفسر ، إذ لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز . وإنما يدرك الاعجاز بهذه العلوم .

اعجاز القرآن الكريم :

القرآن الكريم معجزة المعجزات ، وآية الآيات .. فقد نزل على نبي أمى يعيش وسط قوم هم ملوك الكلام ، وأساطين البيان ، ومعقل الفصاحة ، ومنبت البلاغة . فأعجزهم بفصاحته وسحر بيانه ، واحتوائه على الشرائع الدارسة ، والأحكام العقلية . وإفاضته فى أنباء المستقبل كما جاء فى سورة الروم وغيرها : « ألم . غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد » والغيب لا يعلمه إلا الله . أو من اصطفاه : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » .

سلامة القرآن الكريم من الاختلاف والتضارب والتناقض . قال تعالى فى سورة النساء : « أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ..

يتميز القرآن بأسلوبه ومعانيه السامية على كثرتها : من قصص وأمثال ، وحكم وأحكام ، وتوحيد ، وتنقيف وتهذيب ، وترغيب وترهيب ، إلى غير ذلك مما ليس فى طوق البشر . فالقرآن جمع فنوعى من : علوم وأداب ، وسياسة واقتصاد ، ودين واجتماع إلى غير ذلك مما لا يقوى عليه الإنسان .

وقد أرى أسلوبه بكل فصاحة تفخر بها العرب ، فإذا شاموا وصفه لا يجدون من القول ما يستعينون به إلا هو : فيصفون القرآن بالقرآن .

وما أحسن قول أمير الشعراء ، أحمد شوقي في وصف القرآن الكريم :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجتتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد
يزينهـن جلال العتق والقدم
يكاد في لفظة منه مشرفة
يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم
يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة
حديثك الشهد عند الذائق الفهم

علوم القرآن وعلم الإعراب :

المقصود بعلوم القرآن: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول ، وجمع القرآن وترتيبه ، ومعرفة المكي والمدني ، والناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه .. إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن . وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن .

والقرآن يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مواقف الحياة .. العقلية والجسمية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجاً حكيماً ، لأنه تنزيل الحكيم الحميد .

وقد حرص الصحابة على تلقي القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه وفهمه . وهكذا ظل القرآن يعتمد على الرواية بالتلقين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي خلافة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما .

وحيثما جاءت خلافة عثمان رضى الله عنه ، واقتضت الدواعي - إلى جمع المسلمين على مصحف واحد سمي بالمصحف الامام ، وأرسلت نسخ منه إلى الأمصار ، وسميت كتابته بالرسم العثماني . ويعتبر هذا بداية « لعلم رسم القرآن » .

ثم كانت خلافة علي رضى الله عنه ، فوضع أبو الأسود النؤلى قواعد النحو ، صيانة لسلامة النطق ، وضبطاً للقرآن الكريم ، ويعتبر هذا بداية « لعلم اعراب القرآن » .

نزول القرآن على سبعة أحرف :

لقد كان للعرب لهجات شتى تنبع من طبيعة فطرتهم في أصواتها وحروفها .. فكل قبيلة لها من اللحن في كثير من الكلمات يختلف عن غيرها .

وكانت الصدارة للغة قريش ، حيث تنزل القرآن بهذه اللغة على الرسول القرشي تأليفا للعرب وتحقيقاً لاعجاز القرآن حين يأتي في أيديهم أن يأتوا بمثله أو بسورة منه .

وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم في المعنى الواحد ؛ فالقرآن الذي أوحى الله به لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعاً لحروفه وأوجه قراءته وذلك مما ييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم .

واختلف العلماء في تفسير هذه الأحرف اختلافاً كثيراً :

(أ) يقصد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد ، فحيث أنه تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني ؛ يأتي القرآن منزلاً بالفاظ على قدر هذه اللغات لهذا المعنى الواحد .

(ب) الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن ، أي أنه في جملته لا يخرج في ألفاظه عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم ، فأكثره بلغة قريش ، ومنه ما هو بلغة هزيل ، أو ثقيف ، أو هوزان ، أو كنانة ، أو تميم ، أو اليمن .

ويختلف هذا الرأي عن سابقه لأنه يعني أن الأحرف السبعة متفرقة في سور القرآن ؛ لا أنها لغات مختلفة في لفظ واحد باتفاق المعاني .

(ج) الأحرف السبعة هي أوجه سبعة : الأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، والجدل ، والقصص ، والمثل .

أو : الأمر ، والنهي ، والحلال ، والحرام ، والحكم ، والمتشابه ، والأمثال .

(د) الأحرف السبعة هي وجوه التفاير السبعة التي يقع فيها الاختلاف وهي :

١ - اختلاف الأسماء بالافراد والتذكير وفروعهما « التثنية ، والجمع ، والتانيث » كقوله تعالى : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، ٨٠ - المؤمنون » .

قرىء « لأماناتهم » بالجمع . وقرىء « لأمانتهم » بالافراد . ورسمها في المصحف

« لأمنتهم » . يراد بالجمع الاستفراق الدال على الجنسية ، وبالأفراد الجنس الدال على معنى الكثرة ، أى جنس الأمانة . والمعنى واحد فى الوجهين .

٢ - اختلاف الاعراب ، كقوله تعالى : « ما هذا بشر ، ٣١ - يوسف » . قرأ الجمهور بالنصب ، و « ما » تعمل عمل « ليس » وهى لفة أهل الحجاز وبها نزل القرآن .

وقرأ ابن مسعود « ما هذا بشر » بالرفع ، بلفظة بنى تميم ، حيث « ما » لا تعمل عمل « ليس » .

٣ - اختلاف التصريف ، كقوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، ١٩ - سبأ » .

قرئ بنصب « ربنا » على أنه منادى مضاف ، و « باعد » بصيغة الأمر .

وقرئ « ربنا » بالرفع ، و « باعد » بفتح العين ، على أنه فعل ماض .

وقرئ « بعد » بفتح العين مشددة مع رفع « ربنا » .

٤ - الاختلاف بالتقديم والتأخير ، إما فى الحرف ، كقوله تعالى : « أفلم يئأس ،

٣١ - الرعد » . وقرئ « أفلم يئأس » .

وأما فى الكلمة كقوله تعالى : « فيقتلون ويقتلون ، ١١١ - التوبة » . بالبناء للفاعل فى الأول ،

وللمفعول فى الثانى . وقرئ بالعكس أى بالبناء للمفعول فى الأول وللفاعل فى الثانى .

وروى عن أبى بكر أنه قرأ عند الموت .

« وجاءت سكرة الحق بالموت ، ١٩ - ق » وبذلك قرأ ابن مسعود وهذا يقبل لصحة معناه .

بدلاً من قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » فقراءة أحادية (شاذة) ، لم تبلغ درجة التواتر .

٥ - الاختلاف بالابدال كابدال حرف بحرف ، كقوله تعالى : « وانظر إلى العظام كيف

نشزها ، ٢٥٩ - البقرة » . قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون ؛ وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون .

أو ابدال لفظ بلفظ ، كقوله تعالى : « كالعهن المنفوش . ٥ - القارعة » قرأ ابن مسعود

وغيره « كالصوف المنفوش » .

٦ - الاختلاف بالزيادة والنقص ، فالزيادة كقوله تعالى : « وأعد لهم جنات تجري تحتها

الأنهار ، ١٠٠ - التوبة » . قرئ « من تحتها الأنهار » . والنقصان كقوله تعالى : « قالوا اتخذ

الله ولدا ، ١١٦ - البقرة « . بدون واو . وقراءة الجمهور . « وقالوا اتخذ الله ولدا » بالواو . ويمثل للزيادة بقراءة ابن عباس « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، ٧٩ - الكهف » بزيادة « صالحة » . وابدال كلمة « أمام » بكلمة « وراء » وقراءة الجمهور « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » والنقصان بقراءة « والذكر والأنثى » بدلا من قوله تعالى : « وما خلق الذكر والأنثى ، ٣ - الليل » .

٧ - اختلاف اللهجات بالتفخيم والترقيق ، والفتح والامالة ، والاضهار والادغام ، والهمز والتسهيل . وتمثل الامالة وعدمها في قوله تعالى : « هل أتاك حديث موسى ، ٩ - طه » . قرئء بامالة « أتى » و « موسى » وترقيق الراء في قوله تعالى : « خبيرا بصيرا » . وتفخيم اللام في « الطلاق » . وتسهيل الهمزة في قوله تعالى : « قد أفلح ، ١ - المؤمنون » .

(هـ) رأى بعض العلماء أن العدد سبعة لا يمثل أى مفهوم ما . وإنما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد بالذات . فهو إشارة إلى أن القرآن في لغته وتركيبه كأنه حدود لكلام العرب كله مع بلوغه الذروة في الكمال . ولذا فليس المقصود العدد بعينه وبذاته وإنما المقصود هو الكثرة والكمال في لفظ السبعة في الأحاد .

(و) كما رأى البعض الآخر أن المقصود بالأحرف السبعة : القراءات السبع . والقرآن غير القراءات . فالقرآن : هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز . والقراءات : هي اختلاف في كيفية النطق بألفاظ الوحي ، من تخفيف وتثقال ومد وغير ذلك ..

ويعتبر الرأى الأول من آراء العلماء هو أرجحها جميعا ، من حيث أن المقصود بالأحرف السبعة : سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد . مثل أقبل ، وتعال ، وهلم ، وعجل ، وأسرع فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد .

ولذلك توجد القراءات السبع المشهورة في القرآن الكريم ، فمثلاً في مصر يتلى بقراءة حفص بن سليمان ؛ ولذا نجد في الآية الواحدة أكثر من قراءة ؛ وإذا تتبعنا تفسير (البيضاوى ، ١٣٨٠ هـ) على هامش المصحف الشريف ، نجد أن اختلاف شكل اللفظ بالحركة ، يؤدي بالتالى إلى اختلاف معنى هذا اللفظ في نفس الآية الواحدة فمثلاً :

في سورة الاسراء قوله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

(أ) فى قراءة حفص : « أمرنا مترفيها » . ومعنى هذا اللفظ هو : طلبنا من متنعميها طاعتنا ، وذلك على لسان رسول بعثناه إليهم ، فعصوا ، « ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

(ب) وفى قراءة يعقوب : « أمرنا مترفيها » ، بمد الألف ، ومعنى هذا اللفظ هو : أكثرنا (من الكثرة) متنعميها - وهم الطبقة التى يتبعها غيرهم - ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

(ج) وفى قراءة أبى عمرو : « أمرنا مترفيها » ، ومعنى هذا اللفظ هو : جعلنا متنعميها أمراء عليها (حكاما لها) ، « ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وفى سورة الحجرات قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

ومعنى « فتبينوا » (قراءة حفص) هو : استوضحوا قبل إبرام رأيكم خشية أن تظلموا بناء على الأخذ بنبأ هذا الفاسق بدون استيضاح .

وفى قراءة حمزة والكسائى : « فتثبتوا » ، ومعنى هذا اللفظ هو: توقفوا عن إبرام رأيكم إزاء هذا النبأ الفاسق ، حتى تعرفوا الواقع وذلك أقوى فى المعنى من مجرد الاستيضاح فقط .

إذن : نخلص من ذلك ، أن الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن هى لغات متفرقة فى القرآن ومعان فى الألفاظ تسمع فى القراءة . مختلفة فى السمع متفقة فى المعنى . ومختلفة فى السمع وفى المعنى .

ولما أصبح الأمر ملحاً إلى جميع الناس على قراءة واحدة ، وقع الاختيار عليها فى عهد عثمان ، فأخذ ذلك الامام ونسخ فى المصاحف التى بعث بها إلى الكوفة . حتى لا يترك الناس على قراءاتهم المختلفة .. فجمعوا على القراءة التى نحن عليها . وأما ما اختلفت فيه القراءة من الإمالة والإدغام والإظهار والمد والقصر والتشديد والتخفيف .. قراءة تجوز فى العربية .

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف :

١ - تيسير القراءة والحفظ بالنسبة إلى قوم أميين ، لكل قبيلة منهم لسان ولا عهد لهم بحفظ الشرائع . فضلا عن أن يكون ذلك مما ألقوه .

٢ - اعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب : فتعدد مناحي التأليف الصوتي للقرآن تعددا يكافئ الفروع اللسانية التي عليها فطرة اللغة لدى العرب حتى يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطري ولهجة قومه مع بقاء الاعجاز الذي تحدى به الرسول صلى الله عليه وسلم ، العرب .

٣ - اعجاز القرآن في معانيه وأحكامه : فتقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات يتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائماً لكل عصر .

دلالات ومعاني القرآن الكريم :

تدور معاني القرآن حول ما يتعلق بالعقيدة من التوحيد (١) ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . لينقى في الإنسان الجانب النفسى مما يظهر ذلك في سلوكه وتعامله مع غيره من الأفراد ..

وفي القرآن الكريم ، توجد القراءات السبع المشهورة - كما سبق التوضيح - فمثلا في مصر يتلى بقراءة حفص بن سليمان ؛ ولذا نجد في الآية الواحدة أكثر من قراءة .. وهكذا فإن اختلاف شكل اللفظ بالحركة ، يؤدي بالتالى إلى اختلاف معنى هذا اللفظ في نفس الآية الواحدة .

ومن هنا تكون المعانى التى تلتصق فى ترتيب الكلام حسب مضامينه ودلالاته فى النفس .

وهى معان ترجع إلى الاسناد ، وإلى خصائص مختلفة فى المسند إليه والمسند ، وفى أضرب الخبر ، وفى متعلقات الفعل من مفعولات وأحوال ، وفى الفصل بين الجمل والوصل ، وفى القصر ، وفى الايجاز والاطناب . وذلك ما يعرف بعلم المعانى .

(١) لغة : جعل الشيء واحدا (وهو ضد التعدد) .

واصطلاحا : علم يبحث فى اثبات وجود الله ، وما يجب أن يتصف به ، وما يستحيل فى حقه ، وما يجوز . وكذلك فى اثبات رسالة الرسل ، وما يجب أن يثبت لهم ، وما يستحيل عليهم ، وما يجوز فى حقهم عليهم الصلاة والسلام .

إذن : فالتركيب اللغوية فى القرآن ذات دلالات ومعان نفسية بالنسبة إلى القارئ أو السامع . حيث يختلف المعنى الظاهر للفظ عن المعنى الضمنى له ، حيث فى الأول يدرك الفرد المعانى من قوالها وأشكالها وتراكيبها وضوابطها ؛ أما فى الثانى فإنه يتجاوز هذا النطاق إلى معرفة ما حول تلك المعانى وما تومئ إليه من أفكار بعيدة غير مباشرة ، ومن مضامين فى التعبير تكمن فى دقة نوقه ، وسلاسة طبعه ، وقدرته على التمييز بين الحسن والسيء ..

المعنى اللغوى للفظ :

يشتمل القرآن الكريم على ما يدل ظاهر لفظه على معناه ، وهو ما يطلق عليه المعنى اللغوى للفظ ، فجميع صفات الله من العلم والإرادة والقدرة والوحدانية .. يفهم منها من ظاهر اللفظ أن الله عز وجل عالم ومريد وقادر وواحد . وما من آية من آيات القرآن الا ويتضح فيها هذا الجانب من العلامات اللغوية .

فقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب ، وليملأ الذى عليه الحق وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئاً » . (سورة البقرة ٢٨٢) .

تتضح فى هذه الآية معانى الألفاظ اللغوية من ظاهرها ، فالتداين ، والأجل المسمى ، وكتابة الدين ، والكاتب الذى يكتب ، والأمر بالكتابة كما أمر الله ، وإملاء الذى عليه الحق ، وتقوى الله ، وعدم البخس من الدين ..

كل ذلك يفهم من قراءة النص ومن ظاهر الألفاظ من حيث ما تدل على معناها ، جلية واضحة بالنسبة إلى القارئ والسامع .

وكقوله تعالى : « تلك آيات الله يتلوها عليك بالحق ، وما الله يريد ظلماً للعاملين » . (سورة آل عمران ١٠٨) .

تدل هذه الألفاظ على ما فى القرآن من عبر وعظات ، كما توضح صفة من صفات الله عز وجل وهى العدل .

وتعتبر مثل هذه الألفاظ تحمل معنى ظاهراً للفظ ، يفهمه الفرد بطريقة مباشرة من حيث ما تشير إليه تلك الألفاظ إشارة واضحة جلية لهذا المعنى .

وبالتالى ، تكون هذه الألفاظ والتراكيب اللغوية داخل حدود اللغة إذ تشير صراحة - لا ضمناً - إلى ما تدل عليه من معان حرفية أو قاموسية .

وهذا ما يطلق عليه في الدراسات النفسية : المعنى الاشارى denotative meaning وهو ما يقابل الماصدق denotation فى المنطق . ويتضمن هذا المعنى الاشارى تسمية الشيء أو الظاهرة كما هى بالفعل ، أى أنه عبارة عن وصف الظاهرة وصفا ينطبق تمام الانطباق على ماهيتها وجوهرها .

المعنى الضمنى للفظ :

تتضمن التراكيب اللغوية معان ضمنية ، ليست مجرد المعنى كما هو موجود فى اللغة ودخل حدودها ؛ وإنما فى صور المعانى من كناية واستعارة وتمثيل . . . فالنص الأدبى من شعر ونثر وما يتضمنه من تعبير صادق وشحنة انفعالية تتمثل فى كيفية تناول الالفاظ بحيث تظهر فيها تجارب ومواقف حياتية معينة ومعايشة صاحبها لها فى كل دقائقها وتفصيلها ..

نجد أن القارئ - فى واقع الأمر - لا يكون مشهودا فقط إلى تلك المعانى المباشرة البسيطة التى تحملها الالفاظ ؛ بل إلى مثيرات أخرى أكثر عمقاً تتاجى جوانب النفس فتشعر بالامتاع والارتياح ..

لذلك فإن ما وراء الالفاظ والتراكيب اللغوية من معان هى التى تجعل الفرد فى حالة الامتاع والارتياح هذه .

حيث يرى العلماء أن المعنى اللغوى ليس فيه مزية ، لأنه يعايش اللفظ بحكم الوضع ؛ أما المزية فإنها تكمن وراء هذا المعنى والذى لا يدركه إلا أصحاب الأفهام النيرة والهمم المتيقظة . إذ فى الصورة المثلى فى التراكيب اللغوية القرآنية يكمن الاعجاز .

وكقوله تعالى : « وجعلوا لله شركاء الجن » . فلتقديم الشركاء الحسن والروعة ، والمأخذ من القلوب .. إذ لا يتوافر ذلك فى التأخير حين القول وجعلوا الجن شركاء لله : فى هذه الحالة حالة التأخير كأنها نقل عن الصورة المبهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر إلى ضده ونقيضه . وهذا هو المعنى المباشر فى حالة التأخير والذى يفهم من لغوية اللفظ .

بينما فى حالة التقديم تقديم الشركاء يفيد هذا المعنى ، ويفيد معه معنى آخر وهو : أنه ما كان ينبغى أن يكون لله شريك ، لا من الجن ولا من غير الجن . وإذا تأخر فقيل : جعلوا الجن شركاء لله : لم يعد ذلك ، ولم يكن فيه شيء أكثر من الأخبار عنهم بأنهم عبدوا الجن مع الله تعالى .

ويزداد ذلك وضوحاً بأعراب الجملة وقيامها على أساس نحوي : وذلك أن التقدير يكون مع التقديم أن « شركاء » مفعول أول لجعل و « لله » في موضع المفعول الثاني ، ويكون « الجن » على كلام ثان ، على تقدير : كأنه قيل : فمن جعلوا شركاء لله تعالى ؟ فقيل : الجن .

وإذا كان التقدير في « شركاء » أنه مفعول أول « والله » في موضع المفعول الثاني وقع الإنكار على كون شركاء لله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص شيء بكون شيء ، وحصل من ذلك أن اتخاذ الشريك من غير الجن قد دخل في الإنكار دخول اتخاذه من الجن ، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة كان الذي يعلق بها من النفي عاماً في كل ما يجوز أن تكون له تلك الصفة فمثلاً إذا قلنا :

ما في الدار كريم ، نكون قد نفينا الكينونة في الدار عن كل من يكون الكرم صفة له ، وحكم الإنكار حكم النفي .

وإذا كان التأخير : وجعلوا الجن شركاء لله : كان الجن مفعولاً أولاً وشركاء مفعولاً ثانياً .

وإذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصاً غير مطلق من حيث كان محالاً أن يجري خبراً على الجن ، ثم يكون عاماً فيهم وفي غيرهم .

وإذا كان كذلك احتمل أن يكون القصد بالإنكار إلى الجن خصوصاً أن يكونوا شركاء بكون غيرهم .

إن : فتقديم « الشركاء » يدل على عظم شأن النظم ، وكيف يزداد في المعنى من غير أن يزداد في اللفظ .

فدلالة النظم الظاهرة لا تخرج عن معرفة المعنى اللغوي ، وهي عامة وشائعة في كل كلام وكل قول ..

بينما دلالة النظم الضمنية لا يدركها إلا من اختص بدقة الإحساس والنوق . وهي دلالة خاصة في نصوص وكتابات الكتاب والأدباء .. وأما في نظم القرآن فتسمو إلى درجات الإعجاز بكون غيره من قول البشر .

اللفظ وارتباط المعانى :

فى القرآن الكريم نجد اللفظ الواحد يحمل معانى متباينة ، تجمعها دلالة واحدة بحيث يكون بينها ارتباط يقرب فيما بين بعضها البعض مثل : لفظ « قضى » ومعناه حتم . كقول الله عز وجل : « فيمسك التى قضى عليها الموت » بمعنى حتمه عليها . (سورة الزمر : ٤٢) .

ويصير الحتم بمعان ، كقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » . (سورة الاسراء : ٢٣) بمعنى أمر وحتم بالأمر .

وكقوله تعالى : « فقضاهن سبع سموات » . (سورة فصلت : ١٢) . بمعنى صنعهن .

وكقوله تعالى : « فاقض ما أنت قاض » . (سورة طه : ٧٢) . بمعنى فاصنع ما أنت صانع .

فهذا اللفظ يتفرع منه معان كثيرة إلا أنها ترتبط فيما بينها .. مما يدل على أن كل معنى من هذه المعانى يلائم موقفا بعينه .

ومن هنا ندرك ما للنظم القرآنى من اعجاز .. حيث تحمل الألفاظ معان سامية تخاطب العقل والعاطفة ، لذلك فهى مزيج من اللغة النحوية واللغة الانفعالية من حيث رموزها وضوابطها وأشكالها ؛ ومن حيث مضامينها ودلالاتها النفسية بالنسبة إلى القارئ والسامع .

وإن المتتبع للدراسات النفسية من حيث ارتباطها بالدراسات اللغوية ليجد أن الفرد حينما يواجه المثيرات اللغوية المختلفة ويستجيب لها بطريقة أو بأخرى .. فإن تلك الاستجابات - فى واقع الأمر - ليست مجرد استجابات للعبارة اللفظية وتحليل عناصرها التركيبية النحوية ، وإنما هى الوقوف أولا وقبل كل شئ على تقدير قيمتها الانفعالية .

ومن ثم تختلط الانفعالية بعبارات الفكر ، وتؤثر فيها تأثيرا واضحا .. والفرد فى أحاديثه وكتاباتة إنما يستخدم اللغة الانفعالية مختلطة باللغة النحوية المنظمة تنظيماً منطقياً . فمثلا ، قد يستخدم قبل العبارة اللفظية أو فى نهايتها ، لفظا معينا يتمثل فى القسم أو التعجب أو غير ذلك من ألفاظ يقصد بها التأثير الانفعالى فى القارئ أو السامع .

وهكذا ، فإن التعبير عن فكرة فى إطار تراكيبها اللغوية ليس المقصود منها التعبير من أجل ذات الفكرة بعينها ؛ وإنما من أجل ايصال التجارب منظمة مفصلة .. ومخاطبة العاطفة وإثارة الانفعال من خلال جميع تلك المعانى المتعددة الصور والأشكال .. والتى تصاحب الفكر

وتعايشه بحيث يمكن إيصال تلك التجارب إلى ذهن القارئ .

ومن هنا يمكن للألفاظ وما تحمله من مضامين أن تستثير القارئ وبالأخص من يتميز بالاحساس اللفظي .

فدلالة اللفظ تتنوع وتتعدد بالنسبة إلى الأفراد حيث تدل على معنى معين وصورة نفسية معينة ..

والتركييب اللفغوية القرآنية تقوم على كثرة الحقائق وصحتها ووضوحها من حيث معانيها اللفغوية ؛ بالإضافة إلى معانيها الضمنية والتي تحقق نمطا فريدا في مجال الاعجاز اللفظي .

إذ نجد في الأسلوب القرآني : الاشتراك اللفظي وهو أن اللفظ الواحد يحتمل معنيين أو أكثر ويحتاج ذلك في القارئ مستوى من الذكاء ومعرفة خصائص اللغة وتنوع مجالاتها حتى يمكنه الموازنة بين الكلمة في موضع ، وبينها في موضع آخر حيث تكتسب في كل تركيب معان وصفات جديدة . قال تعالى : « فاقنفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل » . (سورة طه ، ٣٩) .
فقوله : « فليلقه » مشترك بين الخبر ، وبين الأمر ، كأنه قال فاقنفيه في اليم يلقه اليم .
ويحتمل أن يكون اليم أمر بالقائه .

وقد يكون المعنى مضافاً إلى نفسه مع اختلاف اللفظ ، وذلك في الألفاظ المترادفة كقوله تعالى : « والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم » . (سورة سبأ ، ٥)
والرجز هو العذاب .

وهذا لتأكيد المعنى المقصود والمبالغة فيه . فعذاب من رجز ، أى عذاب مضاعف .

إذن فوقع الاشتراك اللفظي والترادف في آيات القرآن الكريم إنما ذلك لمعان أبعد مما يدل عليه ظاهر اللفظ ولغويته ..

التورية :

توجد ألفاظ مشتركة أى تحمل أكثر من دلالة .. وقد يكون أحد معانيها واضح المرعى والقصد لا لبس فيه ولا غموض لدى المتحدث والمخاطب ، ولا يحتاج في فهمه عمقاً وتأملاً .

وأحياناً يورى المتحدث عن قصده ، فيبدو في تعبيره معنى من خلال السياق ، بينما يستتر وراء ذلك معنى آخر يقصده ويرمى إليه .

الاستعارة :

هى ادعاء معنى الاسم للشيء . والأصل فيها المعنى ، وأنه هو المستعار . فقولنا : استعير له اسم الأسد ، هذا إشارة إلى أنه استعير له معناه . حيث لا يصلح القول : جعلته أسداً . إلا على معنى .. من حيث اثبات معانى الأسد وصفاته من شجاعة وقوة وإقدام ..

والاستعارة تضيف على التراكيب اللغوية حسناً ورونقاً وتكسيبها قوة حيث تستثير احساسات القارئ ، وجوانبه النفسية من فرح وحزن ؛ وأمل وألم .. إلى غير ذلك من انفعالات سارة أو مؤلمة .

كقوله تعالى : « وقطعناهم فى الأرض أما » . (سورة الأعراف ، ١٦٨) . فالقطع موضوع لازالة الاتصال بين الأجسام التى بعضها ملتصق ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التى هى داخلة فى مفهومها وهى فى القطع أشد .

وكقوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » . (سورة يس ، ٢٧) . فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل ، وملقى ظله ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على أمر آخر .

وكقوله تعالى : « من بعثنا من مرقدنا » . (سورة يس ، ٥٢) . فإن المستعار منه الرقاد ، والمستعار له الموت ، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال . والجميع عطفى .

وكقوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر » . (سورة الحجر ، ٩٤) . فإن المستعار منه صدع الزجاجه وهو كسرها وذلك حسى ، والمستعار له تبليغ الرسالة . والجامع لهما التأثير ، وهما عقليان .

ومن ثم فإن أسلوب التورية والاستعارة فى القرآن الكريم يوحى للقارئ بمعان لها دلالتها السيكولوجية التى تناجى النفس الإنسانية ، وتستثير مشاعرهما وانفعالاتها السارة وغير السارة .. إلى غير ذلك من معان ودلالات نفسية متباينة ..

وخلاصة القول : أن القرآن الكريم بما يتضمنه من اعجاز فى تراكيبه اللغوية ليست فى طوق البشر . إنما جمع بين المعانى اللغوية للألفاظ فى قوالبها وأشكالها وضوابطها وحقائقها .. وبين المعانى الضمنية فى دلالاتها النفسية وإثارتها للمشاعر والأحاسيس .. ووصولها للقارئ إلى حالات الامتاع والارتياح من حيث معايشته للألفاظ وما وراء تلك الألفاظ من مضامين ..

وهذا يدلنا على أن اللغة التي يتناولها الأفراد في أحاديثهم وكتاباتهم ليست قاصرة على اللغة النحوية - فحسب - والتي تضاطب العقل بمعنوية ألفاظها وتراكيبها ، وضوابطها وأشكالها .. وإنما تمتد إلى مخاطبة النفس الإنسانية من جميع جوانبها .. متمثلة في اللغة الانفعالية بمضامينها ودلالاتها .

ومن هنا يمكن القول ، بأن التراكيب اللغوية القرآنية ذات معان ودلالات نفسية بالنسبة إلى القارئ والسامع .. وهي أسمى المعانى والدلالات .

أنواع المعنى

يتبين لنا - مما سبق - أن هناك مظهرين رئيسيين للمعنى يمكن التفرقة بينهما :

أولهما : هو المعنى الضمنى أو النفسى connotative meaning وهو ما يقابل المفهوم connotation فى المنطق .

وثانيهما : هو المعنى الإشارى denotative meaning وهو ما يقابل الماصدق denotation فى المنطق .

وإذا تتبعنا مصطلح « المعنى الضمنى أو النفسى » كما يستعمل فى الدراسات السيكولوجية ، فإننا نجد نوعاً من المطابقة بينه وبين مصطلح « المفهوم » كما يستعمل فى المنطق .

وكذلك نجد نفس العلاقة بين مصطلح « المعنى الإشارى » كتعبير سيكولوجى من ناحية ، وبين « الماصدق » كتعبير منطقى من ناحية أخرى .

فالمفهوم كمصطلح منطقى ، بدوى ، يشير إلى التصور أو الفكرة المجردة العامة أو الكلية ، فهو فكرة بمعنى أن وجوده ذهنى ، وهذه الفكرة مجردة من حيث أن ما هو مجرد يقابل ما هو عينى ، والعينى concrete هو ما يعتمد على الإدراك الحسى أو الصورة الحسية .

فمثلاً : اللفظ « إنسانية ، المربعية » يعد تصوراً مجرداً ؛ أما « إنسان ، الشكل المربع » فإنه تصور عينى .

والماصدق كمصطلح منطقى ، يشير إلى الجنس أو الفكرة الكلية من حيث الأفراد التى تصدق عليها هذه الفكرة مثل « الحيوان » هو الجنس أو الماصدق ، وهذه الفكرة كلية لأنها تنطبق على عدة أفراد .

وإذن : فإن المفهوم والماصدق فى المنطق يختلف كل منهما عن الآخر فى مضمونه . فمفهوم كلمة « مثلث » ، زكى نجيب ، عبارة عن « سطح مستو محوط بثلاثة خطوط مستقيمة » ، أى الصفات التى تعين الأشياء والتى يمكن أن تطلق الكلمة عليها .

وأما ماصدق « الكلمة » فهو الشيء نفسه الذى تنطبق الكلمة عليه انطباقاً صحيحاً بمعنى المسميات التى يصدق عليها الاسم الذى يستعمل .

الأساس النظري للمعنى

إن المعنى كما يرى أوزجود وآخرون. Osgood, et al. ، عبارة عن عملية نفسية تعبر عن علاقة وظيفية بين أحداث البيئة والسلوك ، وتتضمن عدداً ما من المركبات .

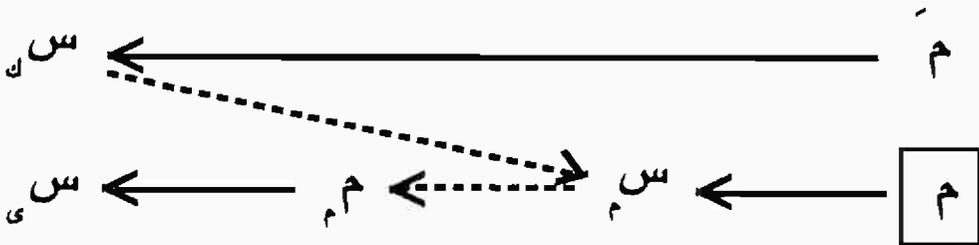
ويعتمد الأساس النظري للمعنى عند أوزجود على ما أطلق عليه فرض التوسط التمثيلي .
representational mediation hypothesis

يرتبط بالمثير اللفظي ، دلالات متباينة بالنسبة إلى الفرد ، حيث تظهر تلك الدلالات في صورة استجابات متوسطة تمثيلية (س م) representational mediation response وتؤدي هذه الاستجابات المتوسطة بدورها إلى حدوث مثيرات متوسطة (م م) ، تؤدي بدورها إلى حدوث استجابات المعنى عند الفرد .

وتعتبر هذه العملية عملية متوسطة تمثيلية representational mediation process لأنها تمثل جزءاً من السلوك أو الاستجابة الكلية (س ن) التي تصدر من الفرد بالنسبة إلى (الموضوع - المثير) ويرمز له بالرمز (م) : وهو ما يقصد به المثير الشينى ذاته .

فمثلاً : « المفتش » كفرد يعتبر مثير شينى بالنسبة إلى فرد آخر قد يستحيب إزاءه بصورة ما . بينما « المفتش » كلفظ يعتبر علامة sign أو مثيراً لفظياً معيناً للمفتش ذاته كفرد ، ويرمز لذلك بالرمز [م] حيث تؤدي هذه العلامة إلى استجابة متوسطة ؛ تنتج بدورها مثيراً متوسطاً (عملية متوسطة داخلية) ؛ يؤدي بدوره إلى استجابات المعنى ويرمز لها بالرمز (س ي) .

وترتبط الاستجابة الكلية بالاستجابة المتوسطة ، حيث تعتبر الأخيرة جزءاً من الأولى . ويوضح التخطيط الآتى عملية حدوث المعنى :



تعريف المعنى

أولاً - تعريف المعنى الإشارى :

تختلف نظرة كل من الفيلسوف وعالم النفس إزاء الدلالة ، فبينما يهتم الأول بشرح الشروط المنطقية الضرورية بالنسبة إلى الدلالة التى قد تتضمن أو لا تتضمن سلوك الفرد أثناء استخدامه المثير ؛ يهتم الثانى بالعمليات المتوسطة التى تحدث فى سلوك الفرد نتيجة للعلاقة القائمة بين المثيرات ودلالاتها .

وبعبارة أخرى : يهتم عالم النفس بتعريف العملية المتوسطة ، أو بشرح وتفسير ما يحدث من عمليات متوسطة لدى الفرد أثناء استقبال المثير ، وإنتاج الاستجابة بالنسبة إلى هذا المثير .

وبالتالى ، إذا تتبعنا التعاريف القاموسية وغيرها التى تناولت المعنى الإشارى denotative meaning « الماصدق » ، نجد أنها تشير إلى أن هذا المعنى يتضمن تسمية الشيء أو الظاهرة كما هى بالفعل ، أى أنه عبارة عن وصف الظاهرة وصفا ينطبق تمام الانطباق على ماهيتها وجوهرها .

يعرف وارن Warren (١٩٢٤) المعنى الإشارى بأنه : « حد ينطبق تمام الانطباق على الأشياء والظواهر » .

ويعرفه انجليش وانجليش English & English (١٩٥٨) بأنه : « حد يشير إلى حالة أو موضوع معين » .

ويعرف فى دائرة المعارف (١٩٦٠) بأنه : « علاقة ما بين حد لغوى وبين شيء معين يشير إليه هذا الحد » .

ويعرفه أوزجود وميرون Osgood & Miron (١٩٦٢) بأنه : « المظهر الوصفى للمثير وتسميته كما هو بالفعل » .

وإن هذه التعاريف تتفق من حيث مضمونها إزاء المعنى الإشارى مع ما يراه علماء العرب فى هذا الشأن ، حيث يرى ابن سينا (١٨٩٢) أنه توجد علاقة ما بين اللفظ والمعنى ، فاللفظ يدل على المعنى على سبيل المطابقة بأن يكون ذلك اللفظ موضوعا لذلك المعنى وبإزائه مثل : دلالة الثلث على الشكل المحيط به ثلاثة أضلع . بمعنى انطباق اللفظ « مثلث » تمام الانطباق على الشكل نفسه الذى يمثل الثلث .

ثانياً - تعريف المعنى النفسى :

يتمثل المعنى النفسى عند الفرد فى الاستجابات التقييمية بالنسبة إلى المثيرات اللفظية ، هذه الاستجابات التقييمية تتضمن - أصلاً - صيغة انفعالية إزاء هذه المثيرات أو تلك .

فالفرد فى حياته اليومية ، يقابل العديد من المثيرات اللفظية التى تؤثر فيه ، ويستجيب لها بطريقة أو بأخرى ، حتى ترتبط هذه المثيرات بنواحي انفعالية معينة بالنسبة له ، نتيجة لحدود البيئة وظروف الموقف التى وجدت فيه هذه المثيرات .

وهكذا ، تتكون المعانى النفسية عند الفرد إزاء هذه المثيرات وتتحدد نوعيتها ، من حيث قربه منها أو بعده عنها ، من حيث تقبله لها أو رفضها ، من حيث قيمتها له وأهميتها ، من حيث رغبته فيها أو رغبته عنها .. الخ هذه المعانى النفسية الانفعالية التى يشعر بها الفرد إزاء هذه المثيرات ويمكن أن يعبر عنها بصور لفظية مختلفة من حيث قوة اتجاهه نحوها ، أو ضعفه .

يعرف أوزجود وآخرون . Osgood,et al (١٩٦٤) المعنى النفسى بأنه : « استجابة انفعالية تقييمية بالنسبة إلى مثير ما » .

ويعرفه بريتون Britton (١٩٣٩) بأنه : « استجابة انفعالية ينتجها مثير ما بانتظام بالنسبة إلى الفرد » .

وواضح أن المثير يرتبط بشيء ما object أو بموضوع معين .

ويعرف أوزجود وآخرون . Osgood,et al (١٩٦٤) الشيء كما يلى ، ويرمز له بالرمز « S » : « نمط مثير دال على الشيء كما هو بالفعل وينتج استجابات معينة عند الفرد » .

وهكذا تصبح هذه الأشياء المادية عند الفرد بمثابة علامات signs أو مثيرات لفظية يستجيب لها الفرد استجابات مختلفة ، تبعاً لنوع الخبرات التى مر بها فى مواقف الحياة المختلفة تجاه هذه العلامات (المثيرات) .

وبالتالى فإن هذه الأشياء المادية الملموسة تستبدل بعلامات signs تشير إلى هذه الأشياء ، وتثير نفس المعانى النفسية عند الفرد إذا ذكرت بمفردها « بغض النظر عن وجود هذه الأشياء » . فمثلاً لفظ : البحر ، والطائرة ، والامتحان .. كل من هذه الألفاظ يعتبر علامة بالنسبة إلى الفرد حيث تثير فيه معانى نفسية معينة ، تتحدد تبعاً لنوع الخبرات التى مر بها إزاء هذه العلامات حيث تظهر هذه الاستجابات النفسية بمجرد سماع الفرد للفظ نفسه أو قراءته ، أى نون تواجهه فى هذا المكان « البحر أو الطائرة أو الامتحان » .

ويعرف وارن Warren (١٩٣٤) العلامة بأنها : « رمز يمكن أن يوضع بدل شيء بحيث يشير إلى معناه . فالكلمة المكتوبة « قط » هي علامة للحيوان « قط » وتشير إلى معنى هذا الحيوان بالذات » .

ويرمز أوزجود وآخرون . Osgood, et al (١٩٦٤) للعلامة بالرمز S ويعرفها بأنها : « نمط مثير ليس هو الشيء الذي يوجد بالفعل ، ولكنه يدل على هذا الشيء بالذات وبالتالي تنتج عند الفرد استجابات تتفق تماماً مع الاستجابات التي ينتجها هذا الشيء نفسه .

بيد أنه لا ينحصر تكوين المعاني النفسية عند الفرد بالنسبة إلى الأشياء والعلامات التي تدل عليها فقط ، وإنما تتكون هذه المعاني أيضاً بالنسبة إلى المفاهيم التجريدية المختلفة التي تتمثل في حياة الفرد وبيئته ، كمفاهيم الزمن « الماضي والحاضر والمستقبل » والتي تؤثر فيه بطريقة أو بأخرى ، حيث يستقبلها الفرد وبالتالي تحدث عملية متوسطة داخلية تؤدي إلى استجابات المعنى ، تلك الاستجابات التي تكونت نتيجة للتفاعل بينه وبين هذه المثيرات اللفظية المختلفة .

ويعرف انجليش وانجليش English & English (١٩٥٨) الاستقبال decoding (بمعنى المدخلات input) بأنه : « العملية التي بها يحول المستقبل « الجهاز الحسي » العلامات « المثيرات » إلى رسائل « معاني » لدى الفرد .

وبعبارة أخرى : الترجمة أو التحويل من ترقيم غير مألوف إلى رموز أو لغة مألوفة » .

ويعرفه أوزجود . Osgood, et al (١٩٦٤) بأنه : « ارتباط العلامات بالوسيطات التمثيلية representational mediators أى الاستجابات المتوسطة ، وهو عبارة عن التفسير الداخلي غير الظاهر لدى الفرد » .

ثم بعد ذلك ، ينتج الفرد ما استقبله من مثيرات ، في صورة أنماط سلوكية مختلفة قد تتمثل في استجابات لفظية معينة ، يمكن أن يصف بها هذه المثيرات .

يعرف انجليش وانجليش English & English (١٩٥٨) التنفيذ encoding (بمعنى المخرجات output) بأنه :

« العملية التي بها يحول الفرد ما يقصده إلى أنماط سلوكية مختلفة قد تتمثل في صورة استجابات لغوية باستخدام الإشارة أو العلامة » .

ويعرفه أوزجود وآخرون . Osgood, et al (١٩٦٤) بأنه : « ارتباط المثير الذاتى الوسيط بالتواليات الأدائية العلنية الظاهرة ، أى التعبير الخارجى عن الأفكار » .

وكما رأينا ، فقد أشار مصطلح « الاستقبال decoding » إلى الارتباط الذى يحدث بين العلامة « فى البيئة الخارجية » وبين العمليات الوسيطة أو المتوسطة الداخلية عند الفرد ، الذى يقوم بتفسير داخلى غير ظاهر لهذا الارتباط ، أى استجابة داخلية غير ظاهرة .

كما أشار مصطلح « التنفيذ أو المخرجات encoding » إلى الارتباط الذى يحدث بين المثير الذاتى الوسيط الذى ينتج من الاستجابة الداخلية المتوسطة ، وبين الاستجابات الظاهرة التى تنتج من هذا المثير الذاتى الوسيط ، حيث فيها يقوم الفرد بالتعبير عن الأفكار ، ولذلك أصبحت هذه الاستجابات ظاهرة علنية غير داخلية .

يتبين لنا - مما سبق - أن هناك علاقة بين العلامات التى ترمز للأشياء ، واستجابة المعنى التى تصدر من الفرد بالنسبة إلى هذه العلامات . ويتضح ذلك فى التنوع الصوتى ، وأبعاد التركيب التى يستخدمها المتحدث .

والعلامة ما هى إلا رابطة بين شيئين ؛ وقد تبنى شارل موريس Morris (١٩٤٦) نظرية العلامات حيث وضع خطة تصنيف للغة أو لعلم الرموز Semiotic من حيث أن اللغة ما هى إلا مثل من أمثلة الرموز ، تضمنت أن الرمز نوعان ثلاث :

(أ) المعنى العملى Pragmatical meaning : ويتضمن علاقة المثيرات بالسلوك الإنسانى فى المواقف المختلفة .

(ب) المعنى التركيبى أو النحوى Syntactical meaning : ويتضمن علاقة المثيرات بعضها ببعض ، بمعنى البحث فى التراكيب اللغوية ، أى من حيث إعراب الكلمات .

(ج) المعنى السيمانتي Semantical meaning : ويقصد به المعنى النفسى (الانفعالى) ويتضمن علاقة المثيرات بدلالاتها عند الفرد حيث يشعر بمعانى كلماته ويتخير منها ما يروق له .

وهكذا ، فإن السيميوتيك يتناول حياة الألفاظ ، حيث بمقتضاه تكون للعلامة ثلاث علاقات : علاقتها بالسلوك الإنسانى ؛ وغيورها من العلامات ؛ ثم علاقتها بمن يقوم بتفسيرها ، ومن هنا نشأت أبعاد السيميوتيك الثلاثة التى سبق ذكرها .

الاشتراط اللفظى وتكوين المعنى

تتم عملية تكوين المعنى بالنسبة إلى الأشياء والأحداث عند الطفل حينما يعرض عليه شيء ما وليكن مثلاً لعبته « القطار » ، وفى نفس اللحظة يسمع « » بهذه اللعبة ينطقه المحيطون به ، ويتكرر هذه العملية من حيث ارتباط المثير اللفظى الدال على الشيء ، بالمثير الشئ نفسه ، يصبح لانتظ معنى عند الطفل .

بيد أن السلوك اللفظى عند الطفل ، كما يرى ستاتس وستاتس Staats & Staats ، لا يتأتى إلا بعد أن يسيطر على الوحدات اللفظية وذلك بضبط الحروف السمعية والمرئية ضبطاً يمكنه من النطق الصحيح .

وإذا كان اللفظ جديداً بالنسبة إلى الطفل ، أى لم يسبق له أن مر به ، فإنه فى هذه الحالة يعتبر لفظاً بلا معنى بالنسبة إليه . ولذلك نقول فى لغتنا اليومية ، أن الطفل يمكنه قراءة الكلمة دون أن يفهمها .

وهكذا ، تتصلل معانى الأشياء والأحداث سواء أكانت بسيطة أم مركبة ، بخبرات الطفل السابقة حيث تبدأ عملية تكوين المعانى بالمحسوسات ، إذ يقبض الطفل على الأشياء ويلمسها أثناء سماعه اللفظ الخاص بها فيتكون المعنى .

ويلاحظ أنه فى بادئ الأمر ، عندما ينطق الطفل اللفظ الواحد ليعبر به عن الجملة ، أن نغمة صوته وحركة أطرافه وجسمه وتعبيرات وجهه كلها تحمل المعنى الذى يريده .

وإنه لمن الخطأ فى المراحل الأولى من تعليم الطفل أن يستعمل لفظان مختلفان لمعنى واحد (المترادفات) مثل : « قفز ووثب ، نال وأحرز ، وعى وحفظ » . أو أن يستعمل لفظاً واحداً لمعنيين مختلفين مثل : « ضاع المسك » أى انتشر وفاح عطره . « ضاع القرش » أى اختفى . ومثل لفظ الندى بمعنى الكرم ؛ وأيضاً بمعنى ما يسقط من بخار الماء فى الباكورة على الأزهار والأشجار ، حيث يؤدى ذلك إلى تعطيل تكوين المعانى والمدركات الكلية .

ويتمثل ذلك فى مشكلة اللغة العربية والعامية ، أى اللغة الدارجة التى يستعملها الطفل فى حياته اليومية . وبالتالي ، يجب تحديد اللفظ المستخدم فى موقف معين وبالنسبة إلى الشيء المعين حتى لا يلتبس على الطفل المعنى والمفهوم ، مثل لفظ « السبورة » وما يقابله فى العامية (تختة) ؛ ولفظ « المصباح الكهربائى » وما يقابله من ألفاظ (لمبة ونور .. الخ) .

فمن الواجب - إذن - أن تسير العملية التعليمية خطوة خطوة من اللغة التى يتكلم بها

الطفل، والتي قد تعلمها بالفعل من بيئته التي يعيش فيها ، إلى اللغة العربية الفصحى وذلك عن طريق القصص والأناشيد والقراءة حتى تؤدي الفرض المرجو منها أفضل أداء .

فلا شك - إذن - أن السلوك اللغوي عند الفرد يتطلب عمليات هامة : فالطفل - في بادئ الأمر - يمكنه النطق بلفظ جديد ، مثل « لبن أو موز .. الخ » وذلك بعد سماعه اللفظ في وجود المثير الشئى نفسه وهو اللبن أو الموز . أى ارتباط اللفظ بالمثير الذى يدل عليه هذا اللفظ بالذات . ومن هنا يبدأ الطفل فى تعلم وحدات لفظية صحيحة ، تدعم فيما بعد - وبعد مرحلة معينة من النضج ، بالحروف المرئية لتلك المثيرات .

وبالتالى ، يتكون معنى اللفظ الجديد عن طريق ضبط المثير اللفظى البصرى ؛ بعد أن كان هذا اللفظ - فيما سبق - بلا معنى بالنسبة إلى الطفل .

ومن الملاحظ - كما سبقت الإشارة - أننا نذكر فى لغتنا اليومية باستمرار، أن الطفل يمكنه أن يقرأ الكلمة ولكنه لا يفهمها . حيث يرجع ذلك إلى أن الكلمة مازالت جديدة بالنسبة له ، ولم يحدث بعد، الاقتران بينها وبين المثير الشئى نفسه، تلك العملية اللازمة لحوث المعنى ونموه .

ومصطلح المعنى - مصطلح عام كثيراً ما نتناوله فى لغتنا اليومية العادية . إلا أنه قد دارت مناقشات عدة حول هذا المصطلح ، بطريقة غير موضوعية مدة من الزمن : فكان الجدل الفلسفى الذى لم يؤد إلى الفهم العلمى للعمليات المتضمنة فى تكوين معنى اللفظ . كما لم يصف أهمية معنى اللفظ فى السلوك اللفظى .

وفى الواقع ، أن الأسس التى قامت عليها عملية تعلم معنى اللفظ ، قد ظهرت فى الاشتراط الكلاسيكى من حيث الاقتران التكرارى بين مثيرين ، لصنور استجابة ما . وقد أوضح أوزجود Osgood حدوث مثل هذه العملية فى التعلم اللغوى وهى : أن معنى اللفظ ينشأ من عملية اقتران بين اللفظ وبين المثير الشئى الدال على هذا اللفظ .

بمعنى أن المثيرات اللفظية (أصوات كلامية) تقترن مع مثيرات شئية اقترانا منتظماً متكرراً . مثال ذلك : حينما تقول الأم لطفلها كلمة « كرة » مرات عديدة فى اللحظة التى يتطلع فيها إلى المثير الشئى نفسه وهو الكرة . أو تقول كلمة « قطة » فى حضور القطة أمام عينى الطفل . أو تقول : « لا » وتدفع الطفل بشدة بعيداً عن شئ ما ، أو تنزع شيئاً ما من يده .

فى كل من هذه الحالات ، يوجد اقتران منتظم ومتكرر بين مثيرين . أحدهما عبارة عن مثير لفظى ؛ والآخر عبارة عن مثير شئى .

وبدلنا المثال التالي لما يمكن أن يحدث أثناء هذا الاقتران المنتظم ، كما تفسرها أسس الاشتراط الكلاسيكي .

حينما يسمع الطفل مثيراً معيناً وليكن « لا » ، وذلك فى اللحظة التى يراد فيها حدوث استجابة معينة مثل « سحب اليد » .

فالمثير السمعى « لا » يعتبر مثيراً « شرطياً » بالنسبة إلى استجابة « سحب اليد » ؛ بينما تعتبر « ضربة على اليد » مثيراً « غير شرطى » بالنسبة إلى اليد المنسحبة .

ويتكرر حدوث هذه العملية عدة مرات حيث يسمع الطفل أولاً كلمة « لا » ؛ تعقبها مباشرة « الضربة على اليد » وذلك حينما يبدأ الطفل فى شد التليفزيون شدة عنيفة .

فإنه تحدث علاقة اشتراطية بين كلمة « لا » وسحب اليد ؛ وبالتالي تحل هذه العلاقة محل العلاقة بين « ضربة على اليد » وسحب اليد . وذلك بعد اقتران كلمة « لا » عدداً من المرات مع « الضربة على اليد » .

وفى هذه الحالة ، تنشأ علاقة اشتراطية بين المثير الشرطى « لا » ، والاستجابة الشرطية « سحب اليد » . وهكذا ينشأ ويتكون المنعكس الشرطى .

إذن : فإنه إذا شرطنا استجابة معينة بمثير ما ، يقترن بمثيرها الأسمى ، مع تكرار هذه العملية عدداً من المرات ، فإن الفرد يمكنه أن يتعلم كيف يستجيب للمثير الشرطى وذلك بإعطاء الاستجابة الأصلية الطبيعية والتى اقترن بها أثناء عملية التعلم الشرطى .

وهكذا ، فإنه يمكن القول بأن الطفل قد تعلم معنى اللفظ . من حيث أنه يمكنه إعطاء استجابة مناسبة « سحب اليد » بالنسبة إلى مثير لفظى معين وهو كلمة « لا » .

وفى الواقع ، يقترن العديد من الألفاظ « مثيرات شرطية » ، بمثيرات « غير شرطية » لصنوع أنماط معينة من الاستجابات . حيث أنه بعد عدد من المرات يمكن أن توصف استجابات الطفل لهذه الألفاظ بأنها ذات معنى . فمثلاً : قد يقترن لفظ « سىء أو قاسى أو مقزز » اقتراناً منتظماً مع مثيرات مختلفة تتسم - عموماً - بخواص مكروهة أو منفرة . حيث يمكن أن تقترن هذه المثيرات اللفظية (الشرطية) بمثيرات (غير شرطية) كالعقاب ؛ أو طعام فاسد ؛ وبالتالي يمكن لهذه المثيرات اللفظية - بمفردها - أن تنتج الاستجابة الطبيعية كالصراخ ؛ أو الغثيان أو القيء .

وفى الحقيقة - أن هذه المثيرات المكروهة ، تؤدى إلى حدوث استجابات فسيولوجية معينة

لدى الفرد ، مثل تغير سرعة دقات القلب ؛ ونشاط الغدة العرقية ؛ وارتفاع ضغط الدم .
وبالتالى ، فإنه تبعاً للتعلم الشرطى ، فإن المثير اللفظى « الشرطى » الذى اقترن بالمثير
المكروه « غير الشرطى » ؛ يمكنه - بمفرده - أى نون وجود المثير المكروه ، أن ينتج هذه
الاستجابات الفسيولوجية - السابقة الذكر .
وإذن : يمكن القول بأن المثير اللفظى يحل محل المثير الأصيل « المكروه » ويعطى نفس
الاستجابة التى يعطيها هذا المثير الأخير .
والتجربة التى قام بها ستاتس وآخرون . Staats, et al توضح لنا هذه العملية حيث
عرضت قائمة من الكلمات عرضاً شفهيًا على كل من مجموعتين من المفحوصين : مجموعة
تجريبية ؛ ومجموعة ضابطة .
وألقيت التعليمات على المفحوصين بتعلم قائمة الكلمات . وقد أعطى المفحوصون فى
المجموعة التجريبية صدمة كهربية بعد عرض الكلمة LARGE مباشرة ؛ كما أن هذه الكلمة كانت
تعرض بصوت مرتفع أجش ؛ حيث ظهرت مرات عديدة على القائمة .
وقد أدت هذه المثيرات المكروهة « غير الشرطية » إلى حدوث استجابة غدية عرقية (GSR)
« فى راحة اليد » .
كما أن المجموعة الضابطة قد تلقت أيضاً الصدمة الكهربائية ؛ والصوت الأجش ؛ ولكن بدون
اقتران مع الكلمة LARGE .
وقد سجل أثناء هذه العملية ، نشاط الغدة العرقية فى راحة اليد .
كما عرضت الكلمة LARGE بدون إعطاء الصدمة وبدون الصوت الأجش ؛ وسجلت
الاستجابة الغدية العرقية للكلمة بمفردها .
وبالإضافة إلى ذلك ، طلب من المفحوصين إعطاء تقدير ما أو تقييم لمعاني بعض الكلمات
التى عرضت عليهم فى قائمة الكلمات التى تضمنت كلمة LARGE .
وقد دلت نتائج تسجيلات الاستجابات الغدية العرقية ؛ وتقديرات معنى الكلمة على الآتى :
١ - اقتران كلمة LARGE بالصدمة الكهربائية ، والصوت الأجش قد غير المعنى المقدر
لللمة وجعلها أكثر اكتئاباً .

٢ - ارتباط حدة المعنى المقدر للكلمة بحدة الاستجابة الغدية العرقية الشرطية ارتباطاً ذا دلالة .

وتدلنا هذه الدراسة على أن معنى اللفظ يتكون عن طريق التعلم الشرطى ، وبالتالي فإن الاستجابات الشرطية تكون معنى اللفظ .

وقد ناقش سكينر Skinner ، كيفية حدوث الاستجابات الحسية بوساطة مثيرات شرطية . بمعنى أن المثير البصرى يمكن أن يؤدي إلى حدوث استجابة مرئية عند الفرد ؛ كما أن المثير السمعى يؤدي إلى حدوث استجابة سمعية ؛ وكذلك المثير اللمسى يؤدي إلى حدوث استجابة حسية . وهذا مؤداه « المنعكس الشرطى » .

فقد يرى الفرد أو يسمع « مثيرات لا تكون موجودة أى ماثلة أمامه » فقد يرى مثلاً « س » من الأفراد - ليس فى تواجده بالفعل - وإنما فى تواجد أى مثير آخر كان يصاحب « س » مصاحبة متكررة .

كما أن جرس العشاء لا يجعل لعابنا يسيل - فقط ؛ بل فى الحقيقة يجعلنا نرى الطعام نفسه .

ووجد ماورد Mowrer أنه يمكن حدوث استجابات حسية بالنسبة إلى الضوء ، حتى فى حالة عدم وجود الضوء فعلاً - كمثير - أمام الفرد .

وعلى ذلك ، فإن الأم حينما تذكر لطفلها لفظ « كرة » ، فى اللحظة التى تشير فيها إلى الكرة فعلاً ، يتكون فى هذه الحالة المعنى الخاص بالمثير اللفظى ، وبالتالي يمكن أن تحدث استجابة المعنى تبعاً لعملية التعلم الشرطى .

والكرة عبارة عن مثير شينى « غير شرطى » ، يؤدي إلى حدوث استجابة حسية (R-S) ، حيث يختزل جزء من هذه الاستجابة (F-S) ، ويصبح استجابة شرطية بالنسبة إلى المثيرات الأخرى .

فحينما يقترن لفظ « كرة » ، كمثير شرطى CS ، مع الشيء نفسه وهو الكرة ؛ فإن اللفظ ينتج جزءاً من الاستجابات الحسية التى نتجت بوساطة الكرة نفسها وهذه الاستجابات تكون معنى اللفظ .

إذن : فإن الاشتراط يحدث بالنسبة إلى معنى اللفظ ، حينما يقترن مثير لفظى (شرطى) بمثير آخر غير شرطى . وبهذا تكون الاستجابة الشرطية عبارة عن معنى اللفظ ، حيث يطلق

عليها استجابة المعنى الشرطية .

ويلاحظ أن استجابة المعنى التي ارتبطت شرطيا مع الكلمة المثير ، تختلف عن الاستجابة الكلية التي ينتجها المثير الشبني نفسه . فمثلا : المثير الشبني « ماء مغلى » ؛ يؤدي إلى حدوث استجابة حركية معينة بالنسبة إلى الفرد وهي « سحب اليد » ؛ بينما إذا اقترن اللفظ « غليان » بالشيء نفسه ، فإن هذا اللفظ ينتج جزءا - فقط - من الاستجابة الحركية التي نتجت بوساطة الشيء نفسه .

وقد تناول أوزجود Osgood ، دراسة كيفية حدوث المعنى بالنسبة إلى الفرد - كما سبق أن ذكرنا - حيث ميز بين الاستجابات الناتجة من المثير الشبني ، وبين الاستجابات الناتجة من المثير اللفظي .

فمثلاً : ميز بين الاستجابات الحركية التي تنتج من مثير شبني معين وليكن «شاكوش» ؛ وبين الاستجابات التي تنتج من المثير اللفظي الذي يدل على ذلك وهو لفظ « شاكوش » .
إذ أن المثير الشبني عبارة عن شيء ثقيل، له خواص مرئية معينة ، وخواص لمسية معينة ، وأثار نوقية معينة بالنسبة إلى الطفل الصغير .

أى أن هذا المثير الشبني يؤدي إلى حدوث نمط كلي للسلوك ، يتضمن فهم الخواص التي تميزه عن غيره من المثيرات ، وحركات الدق ذات الأصوات المتباينة . ومن هذه الأنماط الكلية ، ترتبط استجابات معينة ارتباطا شرطيا مع اللفظ نفسه الدال على الشيء .

ومن الطريف أننا نلاحظ أن الطفل، إذا سألناه عن اللفظ « شاكوش » : ما هو، وما يدل عليه؟ فإنه يقوم بتحريك يده إلى أعلى وإلى أسفل . أى أنه يقوم بنوع من الاستجابات الحركية التي تدل على الاستعمالات الخاصة بالشاكوش، فهي حركات واضحة لليد تعبر عن سلوك ألى معين . ويرتبط جزء من الاستجابة الكلية التي تنتج من المثير الشبني نفسه ، ارتباطا شرطيا مع المثير اللفظي الدال على هذا الشيء ، ومن هنا يتكون معنى اللفظ .

استجابات المعنى واستجابات الكلام

تحدث ارتباطات مختلفة ، أثناء عملية التدریب اللغوى بالنسبة إلى الطفل . وتدلفنا استجابات المعنى - التى نوقشت - على أنها استجابات حسية ، وحركية . وتعتبر أنماط الارتباطات - السابقة - ذات أهمية قصوى بالنسبة إلى تعلم اللغة . ويلاحظ أن الاستجابة الحسية التى تنتج بوساطة المثير الشينى ، ترتبط ارتباطاً شرطياً مع المثير اللفظى حيث يتكون معنى اللفظ . وترتبط استجابات الكلام ارتباطاً شرطياً مع الاستجابات الحسية . حيث تدعم استجابة الكلام ، أثناء عملية اللمس ، وذلك حين صدور الاستجابة الحسية التى تنتج بوساطة الشئ نفسه .

وبالتالى ، تتكون علاقة ما بين الاستجابة الحسية التى تنتج بوساطة الشئ وبين استجابة الكلام .

فمثلاً : حينما تقول الأم لطفلها « كرة » وذلك أثناء رؤيته الكرة فعلاً ، تتكون فى هذه الحالة ، استجابة حسية بالنسبة إلى الكرة . ويرتبط جزء من هذه الاستجابة الحسية ارتباطاً شرطياً ، مع المثير اللفظى « كرة » .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه حينما تدعم الأم الاستجابة اللفظية للطفل وهى قوله « كرة » وذلك فى نفس الوقت الذى يستجيب فيه للمثير الشينى « الكرة » ؛ فإنه فى هذه الحالة تنشأ علاقة ما بين الاستجابة الحسية بالنسبة إلى الكرة ، وبين استجابة الكلام للفظ « كرة » . وبهذه الطريقة ، فإن استجابة الكلام للفظ « كرة » ، تستدعى بوساطة الاستجابة الحسية .

وهكذا ، فإن معنى اللفظ الذى تكون خلال هذه العملية ، يودى إلى حدوث الاستجابة المعينة لدى الطفل بالنسبة إلى اللفظ المعين .

وبالتالى ، يمكن القول بأن الاستجابة اللفظية التى تصدر من الطفل ، ما هى إلا تعبير عن المعنى الذى تكون لديه بالنسبة إلى اللفظ .

التعميم السيمانتي

أولاً : التعميم السيمانتي من اللفظ إلى الشيء :

يتضح لنا - إذن - من التفسير السابق لمعنى اللفظ ، أنه يمكن أن تحل الاستجابة بالنسبة إلى اللفظ محل الاستجابة بالنسبة إلى الشيء . حيث أنه قد أصبحت الاستجابة اللفظية استجابة ملائمة بالنسبة إلى الشيء الذي تدل عليه . إذ أن اللفظ - في واقع الأمر - ينتج جزءاً من الاستجابة التي ينتجها الشيء نفسه .

وعلى هذا الأساس ، فإن السلوك الصادر من الفرد ، والذي قد ارتبط شرطياً مع لفظ ما ، يمكن أن يعمم إلى الشيء الذي يشير إليه هذا اللفظ .

وهكذا تدلنا الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التعميم السيمانتي أنه :

إذا استعمل لفظ ما كمثير شرطي ، وارتبطت استجابة معينة مع هذا المثير ارتباطاً شرطياً ، فإن هذه الاستجابة الشرطية « الجديدة » ، يمكن أن تصدر أيضاً بوساطة المثير الشبني الذي يشير إليه اللفظ .

فمثلاً : إذا استعمل اللفظ « أزرق » كمثير شرطي ؛ وبالتالي ارتبطت استجابة ما ارتباطاً شرطياً مع هذا اللفظ . فإن هذه الاستجابة يمكن أن تحدث أيضاً ، وبدون عملية الاشتراط ، بوساطة الضوء الأزرق .

وهكذا ، فإن عملية الاشتراط الخاصة باستجابات المعنى ، تؤدي - أساساً - إلى حدوث التعميم السيمانتي . فمثلاً : اللفظ « أزرق » يقترن أثناء عملية التدريب - العادي - للطفل ، مع الضوء الأزرق الذي يبعث من مصادر عديدة مختلفة .

ومن هنا ، يرتبط جزء من الاستجابة الحسية بالنسبة إلى الضوء الأزرق ارتباطاً شرطياً مع المثير اللفظي « أزرق » . وتبعاً لذلك فإن كلا من الضوء الأزرق واللفظ « أزرق » ، يؤدي إلى حدوث استجابة مماثلة .

وعلى أساس هذا الاشتراط ، فإنه بالتالي يمكن لأي سلوك جديد ، يرتبط ارتباطاً شرطياً مع اللفظ ، أن يعمم بالنسبة إلى الضوء .

وهكذا ، إذا ارتبطت استجابة أخرى ارتباطاً شرطياً مع اللفظ « أزرق » ، فإن الاستجابة

يمكن أن تحدث أيضاً بوساطة « شىء أزرق » فمثلاً : إذا تكرر عرض اللفظ « أزرق » مع اقتران ذلك بصدمة كهربية خفيفة : فإن الاستجابة السيكلوجلفانية GSR التى تحدث من الصدمة الكهربائية ؛ يمكن أن تصدر أيضاً حتى فى حالة عرض اللفظ بمفرده .

وهذه العملية تتضمن - أيضاً - معنى اللفظ . ويلاحظ أنه كلما يعرض اللفظ « أزرق » ؛ فإنه ينتج الاستجابة الحسية التى ارتبطت شرطياً معه .

وبوساطة اقتران الصدمة الكهربائية مع المثير اللفظى ، فإنه يمكن أن ترتبط الاستجابة السيكلوجلفانية « التى تحدث من الصدمة » ، ارتباطاً شرطياً مع معنى اللفظ .

فالضوء الأزرق يؤدي إلى حدوث الاستجابة الحسية الخاصة بالمعنى ؛ والتى تؤدي بدورها إلى حدوث الاستجابة السيكلوجلفانية .

حيث أن اقتران اللفظ « أزرق » مع « صدمة كهربية » ، يظهر فى الاستجابة التى تنتج بوساطة الشىء الأزرق ، أثناء ظهور الاستجابة الحسية الخاصة بالمعنى ، والتى نتجت من الاقتران بين الضوء واللفظ .

ويبدو - إذن - أن ذلك يعتبر إحدى الوظائف الأولية للغة . وقد رأينا فى هذا المثال ، أنه بالرغم من أن المثير « الشىء الأزرق » ، لم يقترن بالمثير « الصدمة » ، والذي أدى إلى حدوث الاستجابة السيكلوجلفانية ؛ يمكن أن يؤدي إلى حدوث هذه الاستجابة أيضاً .

وبما أن الفرد قد يستجيب للشىء ، كما يستجيب للصدمة ؛ فإن كلا من الشىء الأزرق والصدمة يقترن أحدهما بالآخر فى خبرة الفرد .

وهكذا ، يمكن القول : بأنه على أساس خبرة الفرد إزاء مثيرات لفظية معينة ، تتحدد نوعية استجابته بالنسبة إلى أحداث بيئية مختلفة .

ثانياً : التعميم السيمانتي من الشىء إلى اللفظ :

وبنفس الطريقة السابقة ، يمكن أن يحدث هذا النمط العكسى من التعميم .

حيث أنه إذا اعتبرنا الشىء الأزرق (الضوء) هو المثير الشرطى ، وأن الاستجابة السيكلوجلفانية ترتبط معه ارتباطاً شرطياً ، وذلك باقتران هذا الشىء بالصدمة الكهربائية . فإنه إذا عرض اللفظ « أزرق » ، يؤدي ذلك إلى حدوث الاستجابة السيكلوجلفانية .

والعمليات التى تحدث أثناء هذا التعميم هى : أن الضوء الأزرق يؤدي إلى حدوث استجابة

حسية معينة خاصة بالمعنى . وحينما يقترن الضوء الأزرق بالصدمة الكهربائية « المثير غير الشرطي » ، ترتبط في هذه الحالة الاستجابة السيكولوجائية التي نتجت بوساطة الصدمة ، ارتباطاً شرطياً مع الاستجابة الحسية « أزرق » .

وبالتالي فإن اللفظ « أزرق » يؤدي أيضاً إلى حدوث الاستجابة السيكولوجائية .

ثالثاً : التعميم السيمانتى من اللفظ إلى اللفظ :

الترادف في اللغة ، عبارة عن لفظين معينين يحملان نفس المعنى . ومن الممكن أن يصبح اللفظ ذا معنى إذا اقترن بمثير آخر يؤدي إلى حدوث استجابة معينة . وهذا ما نلاحظه - غالباً - في تعلم اللغة حيث يقترن لفظان أو أكثر بطريقة منتظمة مع نفس الشيء - المثير الذى يدل على اللفظ المعين .

ومن ذلك نجد أن هذه الألفاظ تؤدي إلى حدوث نفس استجابات المعنى التي ارتبطت ارتباطاً شرطياً مع المثير الشيء . وبالتالي ، فإننا يمكن أن نستجيب لهذه الألفاظ بطريقة متشابهة ، حيث أنها تعنى نفس الشيء ، أو بعبارة أخرى فإنها مترادفة .

فمثلاً : لفظ عربية CAR ولفظ سيارة AUTOMOBILE ، لفظان مترادفان حيث أنهما يقترنان بأشياء - مثير متشابهة ، وعلى هذا يرتبطان ارتباطاً شرطياً حيث تنتج استجابات معنى متشابهة .

وحيث أن الترادف يؤدي إلى حدوث استجابات معنى متشابهة ، فإن التعميم من مترادف لآخر يحدث بنفس الطريقة التي تحدث بها الحالات الأخرى للتعميم السيمانتى .

وتبعاً للمثال السابق الذكر ، فإنه إذا اقترن اللفظ « أزرق » مع صدمة كهربية ، فإن الاستجابة السيكولوجائية ترتبط ارتباطاً شرطياً مع معنى اللفظ .

وبما أن اللفظ « أزرق سماوى » يؤدي إلى حدوث نفس استجابة المعنى ؛ إذن فإن الاستجابة السيكولوجائية يمكن أن تحدث أيضاً بوساطة اللفظ « أزرق سماوى » .

وبالتالي ، فإن ارتبطت استجابة ما ارتباطاً شرطياً مع مثير لفظى ، فإنه من الممكن أن تعمم إلى استجابة أخرى .

وقد أجرى فيليبس Phillips تجربة تبين عملية نمو الترادف والطريقة التي يتم بها التعميم السيمانتى من لفظ إلى لفظ آخر .

والمواد المستخدمة فى التجربة ، عبارة عن خمسة ألفاظ بالإضافة إلى خمسة ظلال مختلفة من اللون الرمادى ، حيث تختلف بالتتابع من اللون الفاتح إلى اللون الغامق .

وبنفس الطريقة التى يتعلم بها الطفل تسمية الأشياء ؛ يتدرب المفوضون على الاستجابة للفظ خاص بالنسبة إلى ظل خاص من اللون الرمادى ، متى طلب منهم تبيان الظل الرمادى الصحيح أثناء عرض اللفظ .

وإن هذا التدريب (استجابة حسية شرطية) يؤدي إلى حدوث ارتباط شرطى بين الظلال الرمادية وبين المثيرات اللفظية ، حيث يترتب على ذلك حدوث معنى اللفظ .

وهكذا ، فإن كل لفظ يؤدي إلى حدوث استجابة حسية شرطية بالنسبة إلى اللون الرمادى ، وقد تتشابه كل استجابة مع الأخرى بدرجات مختلفة .

وتعتبر كل من المثيرات اللفظية الخمسة مترادفات ، حيث أنها تؤدي إلى حدوث استجابات حسية شرطية متشابهة .

وبالتالى ، يمكن أن يحدث التعميم السيمانتي من لفظ ما إلى ألفاظ أخرى . ويتوقع حدوث التعميم بدرجة أكبر بين الألفاظ ذات المعنى المتقارب .

ولذلك ، فإنه حينما يترادف لفظان ، فإن ذلك يؤدي إلى حدوث استجابات معنى متشابهة . مع ملاحظة أن خبرة الفرد التى تتكون بالنسبة إلى أحد الألفاظ ، يمكن أن تعمم إلى لفظ آخر . وتبعاً لهذا التفسير ، فإن الألفاظ تؤدي إلى حدوث استجابات معنى متشابهة ، ولكن بدرجات مختلفة .

وقد يقترن لفظان اقتراناً منتظماً مع المثير الشببى نفسه ، وبالتالى يمكن أن تحدث نفس استجابة المعنى الشرطية . وبعبارة أخرى : يمكن أن يؤدي لفظان إلى حدوث استجابات معنى شرطية تتشابه فى نواح معينة وتختلف فى أخرى .

فمثلاً : الألفاظ « مر ، وقدر ، ومريض ، وفشل » ؛ يمكن أن يكون حكم الأفراد عليها بأنها ألفاظ تحمل معنى سلبى أو غير سار . حيث أنه من المتوقع - عادة - أنه إذا اقترنت هذه الألفاظ بمثيرات ما (شيبية) ، فإنه بالتالى تحدث استجابات معنى سلبية متشابهة .

وتبعاً لذلك ، فإنه من المتوقع أن الاستجابات التى تنتج بوساطة هذه المثيرات الشيبية ،

وترتبط ارتباطاً شرطياً مع الألفاظ حيث تكون جزءاً من معناها ؛ قد تتميز بدرجة تشابه معينة ،
والتي على أساسها تترادف الألفاظ .

أثر الخبرة فى المعنى

تؤثر الخبرة التى يكتسبها الفرد من بيئته الثقافية تأثيراً مباشراً فى تكوين مفاهيمه حيث يرى فورست Forest أن هذه الخبرات الجزئية هى التى تبنى الثقافة نفسها فيما بعد ،
وتعمل على تنمية وإدماج البيولوجية الفردية المنعزلة داخل الإطار الاجتماعى العام . أو بعبارة
أخرى : تعمل على تجميع هذه الفرديات المنعزلة فى كل واحد داخل إطار عام هو الإطار
الاجتماعى .

وهكذا تعتبر هذه الخبرة التى يكتسبها الفرد أثناء الاتصال الاجتماعى هى المسئولة
الأولى عن تكوين المعانى والتى تميز انتماء لهذه الجماعة نون غيرها من الجماعات .

بينما وجد روبرت وهول Robert & Hall أن الفرد يكون خبرته عن العالم الخارجى
المحيط به فى صورة كلية غير مجزأة وأن التقسيمات التى توجد فى هذه الخبرة ، مثل
التقسيمات التى تتضمنها المعانى فى اللفه ، ليست إلا تقسيمات اصطلاحية للضرورة فقط .

وفى الواقع ؛ أن معنى اللفظ يتحدد فى ضوء استعماله : فمعنى الحذاء والكرسى
والمعلقة ، مراد ، وغير ذلك ، يتكون لدى الطفل باستعماله هذه الأشياء ، ومعرفة وظيفة كل منها
حيث ترتبط المعالجة اليدوية للأشياء بالمعالجة اللفظية ارتباطاً وثيقاً . وكذلك تتدخل سائر
الحواس الأخرى من بصر وسمع ، حيث ينتزع كل حس من الواقع خاصة معينة نون سواها
لترتبط باللفظ ويتكون المعنى والدلالة .

* * *